المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3].

وقال النبي ﷺ «مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[4].

فمن التحدث بنعمة الله تعالى على عباده والمساهمة في الخير، الحديث عن العلماء، وذكر فضلهم على الأمة، فهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وبهم قام الإسلام وبه قاموا، وبجهدهم وجهادهم بتوفيق الله حفظ لهذا الدين متانته، وأثبت صلاحيته لكل زمان ومكان.

فمن حقهم على الأمة احترامهم ومحبتهم وموالاتهم والترضي عنهم والدعاء لهم.

---

(١) فاطر: آية ٢٨.

(٢) العنكبوت: الآية ٤٩. (٣) المجادلة: آية ١١.

(٤) رواه البخاري في كتاب العلم باب فضل من علم وعلّم رقم ٧٩ عن أبي موسى الأشعري. انظر الفتح ١/ ١٧٥.

قال ابن تيمية رحمه الله (فيجب على المسلمين - بعد موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ - موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، والذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يُهتدَى بهم في ظلمات البر والبحر)[1].

ومن واجب طلبة العلم نحو دينهم وعلمائهم السعي كل بما آتاه الله من علم، لخدمة الإسلام والمسلمين، وخدمة العلماء بنشر علمهم وبيان فضلهم، ليستمر نفعهم وعطاؤهم، فمن أولئك العلماء الأفاضل الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله. فقد جاهد في الله حق الجهاد، ودعا الأمة إلى الاعتقاد الصحيح، وأحيا السنة النبوية وأقام راية الجهاد في سبيل الله، ودعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وردَّ البدع والاعتقادات الباطلة - كما جاء ذلك في كتبه ومناظراته وسيرته العظيمة، فالعقائد الواسطية والحموية والتدمرية وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم ومنهاج السنة وغيرها كلها في بيان العقيدة الصحيحة ونفي العقائد الباطلة، فبأقواله ومناظراته ومؤلفاته فهمت العقيدة الصحيحة وعرفت العقائد الباطلة، وهدى الله بعلمه كثيراً ممن ضل عن الصراط المستقيم، وفي كتبه الفيصل لما أشكل في مجال الاعتقاد.

وما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي أيّدها ونصرها الإمام محمد ابن سعود -رحمهما الله- إلا امتداد لتلك الجهود المباركة، فهدى الله بها كثيراً من أهل القرن الثالث عشر الهجري فما بعده إلى يومنا هذا.

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ص ٤ .

كما كانت اختياراته الفقهية الراجحة، واستنباطاته البارعة دعوة جادة لإحياء الاجتهاد، وضربة قاصمة على التقليد والجمود.

وكانت نتائجها رائدة في إعادة الفقه إلى ينابيعه الصافية كما كان معروفاً عند السلف، وعلى رأس ذلك الاعتناء بالدليل، والأخذ به، وإعمال العقل في البحث والاستنباط.

وكانت جهوده العلمية أساسها الإخلاص وقوامها الدليل وروحها الإصلاح، وغايتها تحقيق شرع الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وكان لاتِّصَافها بذلك كبير الأثر في رواجها والعناية والأخذ بها.

فالإخلاص هو أساس الأعمال الصالحة وبه يقبل العمل أو يرد، وهو المعين على طلب العلم بعد الله، والبركة العلمية عنوانه، وهو أهم مايتميز به علم السلف عن علم الخلف.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وحسن القصد من أعون الأشياء على نيل العلم ودركه، والعلم الشرعي من أعون الأشياء على حسن القصد والعلم الصالح)[1].

وبغير الإخلاص يزول النفع، وتمحق البركة مع ما يترتب على ذلك من شديد العقاب لمن طلب العلم لدنيا يصيبها. قال الرسول ﷺ: (من تعلم علماً يبتغي به وجه الله -عز وجل- لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة)[2]. يعني ريح الجنة.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠ / ٥٤٤.

(٢) رواه أبو داود: علم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى: ٤/ ٧١، والحاكم ١/ ٨٥ وقال حديث صحيح سنده ثقات رواته على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال النووي في رياض الصالحين، ص٥٢٧ «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

وقيام العلم على الدليل هو الضامن له من الزلل، والحافظ له من الانحراف، والداعي له إلى الحق. وهيمنة جانب التربية على ذلك يضفي الروح المعنوية على ذلك كله. ويجعل بركة العلم شاملة حياة الناس ويظهر أثرها فيهم.

وبعد.. فلماذا يدرس منهج ابن تيمية في الفقة ؟

قبل الحديث عن الأسباب والحيثيات الداعية لذلك يجب أن نعلم أن ابن تيمية كان موضع اهتمام وعناية من علماء عصره، والذين أتوا من بعده إلى عصرنا هذا.

ودواعي هذا الاهتمام ما شهدت به سيرته، وتميّز به علمه، وأثره الواضح في حياة الأمة وفي فكرها.

فقد كان مثالاً للاقتداء الصادق بالسلف الصالح في السير على طرقهم تعبداً وزهداً وورعاً ومنهجاً..

وكان كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هما مصدر علمه وتثقيفه.

فكان فارساً لألفاظهما ومعانيهما، محققاً لمقاصدهما وأهدافهما، عاملاً بأمرهما مجتنباً نهيهما.

وكان جهاد الدعوة شغله ومطلبه، وجهاد السنان هدفه وغايته.

لهذا أخذ العلماء وطلبة العلم في تدارس حياته وعلمه.

فوصف علماء عصره ذلك اعتباراً واقتداء.

منهم ابن قيم الجوزية والذهبي وابن كثير والبزار وابن عبد الهادي.

كما اعتنى العلماء وطلبة العلم في عصرنا بذلك، فكتبوا عن سيرته وعن

جهاده في الدعوة والسنان، وعن منهجه في العقيدة والتفسير والحديث وجوانب من فقهه واختياراته.

فرغبت في المشاركة في خدمة علم هذا الإمام الجليل بإبراز جانب مهم من جوانب منهجيته العلمية، وهو منهجه في الفقه، وهذه الأهمية منبثقة عن اهتمام ابن تيمية بالفقه[1].

وقد كان فقهه حلقة وصل بينه وبين مجتمعه.

ومن الأسباب والحيثيَّات الداعية لهذه الدراسة:

١) حاجة طلبة العلم للتعرف على مناهج العلماء العلمية وخاصة المحققين منهم كابن تيمية للاستفادة منها والأخذ بها.

٢) تتبع وعناية ابن تيمية لمنهج السلف الذين هم القدوة في العلم والعمل.

٣) ربط فقهه بالعلوم الأخرى كالعقيدة والحديث وبيان الجوانب التربوية فيه.

٤) تميّز فقهه:

أ - بحرية الفكر القائمة على أساس الأخذ بالدليل.

ب - بالعناية بالعقل وتشبع فقهه بالاستنباطات والمفهومات العلمية.

---

(١) هذه الرسالة قدمتها لنيل درجة «الدكتوراه» بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٧هـ وكان المناقشون هم: فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان الأستاذ بقسم العقيدة بالجامعة ورئيس قسم الدراسات العليا، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح قاري المشرف على الرسالة والأستاذ المشارك بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، وقد حازت الرسالة على مرتبة الشرف الأولى.

جـ - قيام فقهه على أساس الدعوة والإصلاح .

د - شمولية فقهه لسائر جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها .

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : دراسة للجانب الفقهي لابن تيمية .

بالحديث عن جهوده الفقهية وأثرها وموقفه من المذاهب الفقهية والأصول التي أخذ بها ، وهو شبه تقديم للمنهج الفقهي لابن تيمية .

القسم الثاني : دراسة للمنهج التفصيلي .

وخاصة الاستدلال ، والمناقشة ، والترجيح .

القسم الثالث : تطبيق المنهج بدراسة اختيارات ابن تيمية وبيان مميّزاته .

وكانت خطة البحث على النحو الآتي :

الموضوع : منهج ابن تيمية في الفقه .

ويشمل ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ترجمة موجزة عن ابن تيمية .

والحديث فيها عن الناحيتين العلمية والجهادية .

الفصل الثاني : دراسة في الجانب الفقهي عند ابن تيمية وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : المنهج العام في الفقه .

المبحث الثاني : موقفه من الأصول .

المبحث الثالث : جهوده وإنجازاته الفقهية .

المبحث الرابع : موقفه من المذاهب الفقهية .

المبحث الخامس : موقفه من المذهب الحنبلي .

الفصل الثالث : أثره على المجتمع وعلى تلاميذه وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثره على المجتمع .

المبحث الثاني : أثره على تلاميذه .

الباب الثاني : المنهج التفصيلي .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الاستدلال

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الاستدلال بالنقل .

المبحث الثاني : الاستدلال بالعقل .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستنباط .

المطلب الثاني : التعليل .

المبحث الثالث : تحرير الدليل .

المبحث الرابع : فهم الدليل .

المبحث الخامس : القواعد والأصول الفقهية .

obeikandl.com

الفصل الثاني : المناقشة .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ما يتعلق بالخصم في المناقشة .

المبحث الثاني : ما يتعلق بموضوع المناقشة .

الفصل الثالث : الترجيح .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : حرية الفكر .

المبحث الثاني : الاهتمام بالمصالح العامة .

المبحث الثالث : العزم على الوصول إلى الحق وإظهاره والثبات عليه .

المبحث الرابع : الاستقراء .

الباب الثالث : دراسة تطبيقية للمنهج .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : مميزات منهج ابن تيمية في الفقه .

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : السلفية .

المبحث الثاني : الإخلاص .

المبحث الثالث : العدل والتيسير ومراعاة المصالح .

المبحث الرابع : الفقه الشمولي .

المبحث الخامس : الفقه الواقعي .

obeikandl.com

المبحث السادس : الثبات على الحق .

المبحث السابع : التوجيه والإصلاح عند ابن تيمية وفي فقهه .

الفصل الثاني : دراسات في اختيارات ابن تيمية الفقهية .

وكان منهج العمل في البحث الآتي :

١) ترقيم الآيات وقد اتبعت في كتابتها ما هو متعارف عليه حالياً في قواعد الإملاء .

٢) تخريج الأحاديث من مصادرها ، فإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما ، وإذا كان في غيرهما خرجته من مصدره مع بيان درجة الحديث بدراسة سنده أو نقل كلام أهل الحديث عنه وهو الغالب .

٣) ترجمة الأعلام الواردة في البحث غير الصحابة والمشهورين من العلماء .

٤) الاستشهاد لكل ما نسب إليه أنه من منهجه سواء كان من قوله أو ما تقتضيه مؤلفاته أو أقوال تلاميذه .

٥) الاقتصار في أخذ منهجه ممَّا كتبه أو جمع عنه أو ألفه فيه تلاميذه مع الاستفادة ممّا كتب عن ابن تيمية وله علاقة بموضوع البحث .

٦) نسبة أقوال الأئمة إلى مصادرها بالرجوع إلى مصادر المذهب نفسه وذلك في فصل الدراسة لاختيارات ابن تيمية .

٧) العناية بالحديث عن جهود ابن تيمية الاجتماعية والتوجيهية والإصلاحية والسياسية في ثنايا البحث .

ولقد كان الخوف والرجاء يساوراني في الكتابة عن هذا الموضوع. فالخوف من اعتبار نفسي لست أهلاً للكتابة عن هذا الإمام الكبير.

والرجاء في أن أتزود بالعلم من منهج إمام شهدت له الأمة وخاصة العلماء بفضله وعلمه وإمامته.

فاستعنت بالله على الكتابة عن الموضوع، لما يعود به من الخير العميم على طالب العلم من التفقه في دين الله، ومعرفة طرق الاستدلال والاستنباط وكيفية الأخذ بها، وأسلوب المناقشة وطرق الترجيح وصفات الفقيه إلى غير ذلك من الدروس العظيمة والفوائد الجمة في منهج ابن تيمية.

وقد شدّ من عزمي بالكتابة عن هذا الموضوع فضيلة الدكتور عبد العزيز ابن عبد الفتاح قاري الأستاذ المشارك بكلية القرآن الكريم العليا بالجامعة الإسلامية.

كما توّج هذا البحث بتوجيهاته وتصويباته ممّا كان لها الأثر الكبير، وكانت عوناً لي على مصاعب البحث بعد الله سبحانه وتعالى، فجزاه الله خيراً وبارك في جهوده لصالح الإسلام والمسلمين.

ولقد بذلت جهدي في الكتابة عن هذا الموضوع، وهو جهد المقل، لعل الله أن ينفعني وينفع به من اطّلع عليه.

أسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الإخلاص والثبات على الحق في أعمالنا وفي أقوالنا، وأن يقينا شرور أنفسنا ويغفر زلاتنا، إنه هو القادر والموفق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.